تعليمية المهارات اللغوية وأثرها في تشكيل لغة التخصص

عدة قادة

جامعة تيارت

الملخص:

لم يعد تعليم اللغة يعني حشو أذهان المتعلمين بقواعدها ومعاييرها ، بل وجب التركيز في تعليمها وتعلمها على إكساب واكتساب المتعلم المهارات اللغوية المناسبة لتصبح اللغة لديه وسيلة وأداة ، بل كفاية تمنحه القدرة على توظيفها وممارسة أنظمتها وقواعدها ووضعها موضع الاستعمال في مختلف المواقف التواصلية ، ومن ضمن ذلك أن يرقى بلغته إذا ما أراد إلى درجة لغة التخصص .

إذن ، فما السبيل إلى تعليميةٍ فعَّالة للمهارت اللغوية بمختلف أشكالها ؟ وما العلاقة بين تعليم هذه المهارات اللغوية وتشكيل لغة التخصص لدى المتعلم؟

تمهيد :

أفرز الدرس اللساني بعامة ، وما تعلَّق منه بتعليم اللغة بخاصة مفاهيم جديدة ، وغيّر في كثير من المفاهيم القديمة ، فعلى مستوى تعليمية اللغات " لم يعد تدريس اللغة معنيا بالحقائق كما كانت عليه الحال في القرن الماضي ومطلع هذا القرن ، إذ لو كان تدريس اللغة يتم وفق هذا الاتجاه لكان تعليم مجموعة من مفردات معينة ، ومجموعة من القواعد والمصطلحات يعد اكتسابا للغة " (اللسانيات وتعليم اللغة : 161).

وهكذا فإنَّ تعليم اللغة لم يعد يعني حشو أذهان المتعلمين بقواعدها ومعاييرها الثابتة ، بل يجب علينا أن نجعل من المتعلم

مشاركا فعّالا ومتجاوبا مع البرنامج التعليمي ، الذي يجب أن يركز على إكساب المتعلم المهارات المناسبة ليسهم هو الآخر في ترقية العملية التعليمية (دراسات في اللسانيات التطبيقية ، حقل تعليمية اللغات، ط 2 ، 2009 : 140)، وإذا تعلق الأمر باللغة العربية ، فإن تعلُّمها وتعليمها يعني تمكين المتعلم وجعله على قدر كبير من الكفاية اللغوية من خلال إتقان مختلف المهارات الاتصالية إرسالا واستقبالا ، مما يعني استخدام اللغة وممارسة أنظمتها وقواعدها ووضعها موضع الاستعمال ، وعدم الاكتفاء بحفظ قواعدها بعيدا عن الممارسة الفعلية في الحياة ومواقفها "(الكافي في أساليب تدريس اللغة العربية ، ط1، 2006 : 167).

فإذا ما تمَّ لنا الوصول بالمتعلم إلى الحدّ الذي يتمكن فيه من لغة التواصل العادية وفق ما يقتضيه نظام اللغة العربية الفصحى حقَّ لنا أن نفكر في كيفية الارتقاء بلغة المتعلم لتجود في محورين أساسيين إبداعيين وهما : المحور الفنِّي : والذي نسعى من خلاله إلى تحسين لغة المتعلم لتصبح لغة أدبية فنية ، والمحور العلمي : والذي نطمح من خلاله إلى تجويد لغة المتعلم لترتقي إلى لغة علمية متخصصة .

لقد أصبح الهاجس الذي يؤرق جميع مدرسي اللغة العربية هو تدني إنجازات المتعلمين في استعمالهم وتوظيفهم للغة ، وضعف رصيدهم اللغوي (مجلة الدراسات اللغوية ، العدد 2 ، السنة الثانية ، ديسمبر 2011 : 62) ، فما السبيل إلى تعليمية فعَّالة للمهارت اللغوية سواء ما تعلق بمهارات الإرسال (التكلُّم والكتابة) ، أو ما تعلق بمهارات الاستقبال (الاستماع والقراءة) ؟ وكيف يمكننا أن نستثمر هذه المُكنة التواصلية فيما بعد لتشكيل لغة التخصص ؟ وما الشروط اللازمة لتلك العملية ؟.

تحاول هذه المداخلة - بإذن الله وتوفيقه - أن تسلط الضوء على التعليمية الفعَّالة للمهارات اللغوية ، وأثرها في تشكيل لغة التخصص لدى المتعلم ، ساعية إلى كشف هذه العلاقة الوثيقة بين تعلم المهارات اللغوية ، وتشكيل لغة التخصص .

مفهوم التعليمية :

يقع الإجماع في تعريف التعليمية على كونها تـأملا وتفكيرا فـي طبيعـة المـواد المدرسـة ، ودراسـة نظريـة وتطبيقيـة للفعـل البيداغوجي المتعلق بتلك المواد (اللسانيات والديداكتيك نموذج النحو الوظيفي من المعرفة العلمية إلى المعرفية المدرسية ، ط1 ، 2005 : 20) ، ويمكننا أن نتبين من خلال هذا التعريف أنَّ موضوع التعليمية يكـاد ينحصـر فـي " دراسـة آليـات اكتسـاب وتبليـغ المعـارف المتعلقـة بمجـال معرفـي معـين فهـي تمثـل فـي آن واحـد تفكيـرا وممارسة يقوم بهمـا المـدرس لمواجهـة الصـعوبات التـي يلاقيهـا فـي تعلـيم مادتــه " (المجلة الجزائرية للتربية ، العدد 2 ، السنة الأولى ، 1995 : 64) .

ويلفت انتباهنا في موضوع التعليمية مصطلحا الاكتساب والتبليغ مما يحيل مباشرة إلى أن موضوع التعليمية ذو شقين هامين لا ينفصم أحدهما عن الآخر وهما : التعلّم بما يعني الاكتساب الذاتي للمعارف والمهارات والكفاءات ، والتعليم بما يعني تبليغها وإكسابها للمتعلمين من قبل المعلمين .

ويشير الدارسون إلى أن مكونات التعليمية العامة ثلاثة أقطاب أساسية تشكل ما يسمى بالمثلث الديداكتيكي وهي : المعلم ، والمتعلم ، والمعرفة ، والعلاقة بين هذه المكونات هي التي تتبني عليها التصورات أو المفاهيم الديداكتيكية العامة .

أولا : مبادئ عامة في اكتساب اللغة:

المقصود بتعلّم اللغة وتعليمها بكونها نظاما تواصليا الإلمام بمجموع الخصائص المميزة لهذا النظام ، والقدرة على استعماله في مختلف الظروف، ومواقف التواصل اللغوي الذي يتشكل من المرسل والمستقبل والرسالة ، والمرسل إما أن يكون متكلما أو يكون كاتبا ، والمستقبل إما أن يكون سامعا أو قارئا مما يعني أن القدرة على التواصل اللغوي تقتضي أربع مهارات

وهي : مهارة الكلام ، ومهارة الكتابة ، ومهارة الاستماع ، ومهارة القراءة (الكافي في أساليب تدريس اللغة العربية: 165)

و يشير المختصون إلى أن تعليمية اللغة تستند إلى جملة من المبادىء الأساسية نذكرها مختصرة :

1 - ضرورة إدراك حقيقة ارتباط اللغة بواقع الناس وحياتهم لأنها " أداة من أدوات الحياة العامة وإنها لا تقوم بواجبها ما لم تؤد غرضها فيها ، ولا تبلغ منزلتها الحقيقية لدى أهلها ما لم تعنهم فيما هم فيه وعليه ، والتلميذ واحد من هؤلاء الأهل لا يمكن أن يحس بأهمية اللغة ، ولا يمكن أن يحسن تناولها ما لم تقدم إليه على أنها جزء من الحياة لا يستغنى عنه في أمور من الحاجات الآنية من أكل وشرب أو في أمور من حاجات الفن والإبداع " (أصول تدريس اللغة العربية : 1404هـ ، 1984م : 12).

ولذلك فإنه ما لم يتحقق هذا الشرط يصبح من الصعوبة بمكان تدريس اللغة العربية للمتعلمين وذلك لما يصدر عنهم من " نفور من حيث لا يجدون للعربية صدى في واقعهم الحياتي ، لذا يركن هؤلاء الدارسين – في تواصلهم – إلى المكون اللهجي وينضاف إلى ذلك سيطرة اللغتين الإنجليزية والفرنسية وسيرورتهما في الإدارات العمومية والمحيط السوسيو اقتصادي" (اللسانيات وتدريس اللغة العربية : 84)

لقد أصبح هذا المبدأ ركنا أساسيا في تعليمية اللغة لدى الغرب " أما نحن فقد تأخرنا في العلم به ، حتى إذا بلغَنا – فيما بعد – استقبلناه على أنه فتح جديد في عالم النظريات ، وقصَّرنا أو أبطأنا- في الاستفادة منه في دنيا التطبيق " (أصول تدريس اللغة العربية:12)، فضيعنا بذلك جوهر اللغة العربية الفصحى باعتبارها أداة تواصل تعبر عن أغراضنا وحاجاتنا فكيف نطمع بعد ذلك في الرقي بها لدى المتعلم لتصبح لغة تخصص .

2- كون اللغة المدروسة كائنا حيا " ويقصد بهذا - فيما يقصد – إلى أنها ليست جامدة تقف حيث يقف عصر بعينه ، وإنها إن وقفت – لسبب أو لآخر – فإن التاريخ يسير ، وأن الأمم تسير

مع التاريخ ، ويقتضي تطورها أمورا كثيرة يجب أن تطاوعها اللغة وتسدَّ حاجاتها ، وإلا منيت بالتخلُّف وصعب تدارك الأمر فيما بعد "(أصول تدريس اللغة العربية: 12)، ولذلك وجب علينا أن ننطلق من هذا المبدأ كما انطلق الغرب منه " فما كان حيا من اللغة وما كان ذا صلة بالحياة يقرُّ ويدرَّس لأن التلميذ يشعر بالحاجة إليه والمتعة فيه مثل إحساسه بأيِّ ثمر يانع لذيذ ، وما لم يكن كذلك يطرح وينبذ لأن التلميذ يضيق به " (أصول تدريس اللغة العربية: 13) .

يجب علينا أن نؤمن أن في لغتنا العربية - كما باقي اللغات - " حياة وجمالا ، وإن فيها أدبا وفكرا وتراث أمة ودين أجناس ، ولا أدل على ذلك من عمرها المديد ، وصمودها إزاء كل أنواع الغزو ، ثم يقظتها الجديدة ، ومن هنا يجب أن نبدأ ... ومن عناصر الحياة أن ننطلق ، إننا نصل اللغة بالحياة ونشعر التلميذ بحاجته اليومية إليها وننقل إليه ما هو فوق ذلك من ذخائر الأداء والإبداع ، ونبعثه على أن يبدع هو إذ يقول وإذ يكتب " (أصول تدريس اللغة العربية: 17) ، وإذا ما استشعرنا ذلك وأصبح واقعا في حياتنا أمكننا أن نطمح إلى أبعد من ذلك فتصبح اللغة في أيدي ناشئتنا أداة للتواصل في مختلف الميادين ، تصبح اللغة بهذا التصور وسيلة طيِّعة للإنشاء الأدبي والعلمي .

3- الأولوية في تعليم اللغة تعطى للجانب المنطوق على الجانب المكتوب ، ومبرر ذلك أن حقيقة اللغة أصوات منطوقة قبل أن تكون حروفا مكتوبة ،وهذه الحقيقة أصبحت مفقودة أو تكاد تفقد في مناهجنا وبرامجنا التعليمية ، إذ تعوِّل هذه المناهج والبرامج على الجانب المكتوب ، فالمعلمون كثيرا ما يحرصون على تعليم الحروف ليس كأصوات لها خصوصيات في النطق بقدر ما يعلمونها على أنَّها شكل أو رسم يجب أن يتعوَّد المتعلم على كتابته ، وهذا التوجه لا شك له تأثيره على اكتساب اللغة من جهة ، إذ هو يعطِّل التمكن الشفوي الذي يقتضي الممارسة

اللغوية المستمرة ، بل هو يسهم أيضا في تعطيل القدرة التعبيرية كتابيا.

ومن صور عدم العناية بالجانب الشفوي أن مناهج اللُّغة العربية في مختلف المراحل تغيِّب الجانب الشفوي كلِّية أو هي على أقل تقدير تقلل من أهميته ، وقد حدث في تخفيف برامج التعليم الثانوي أن حذف نشاط التعبير الشفوي حذفا تاما ، ورأت اللجنة المكلفة بالتخفيف أنّ هذا النشاط لا جدوى من إقراره على اعتبار أنَّه يمارس في كل النشاطات التعلمية (مديرية التعليم الثانوي – وثيقة تخفيف مناهج التعليم الثانوي ، مواد التعليم العام ، جوان 2008 :04)، وهوما يكاد يغيب في قاعات الدرس ، إذ كثيرا ما يعطَّل دور المتعلِّم ، أو هو يتلقى شرحا لدروسه في مختلف المواد بلغة أقرب إلى العامية منها إلى الفصحى ، فهل نستطيع بمثل هذه الممارسات أن نرتقي فعلا بلغة المتعلم لتصبح لغة تخصص ؟ .

4- اكتساب اللغة لا يكون إلا بالاندماج في الوسط اللغوي على اعتبار أن هذا الوسط هو المجال الطبيعي لنشأة اللغة وتعلُّمها ، ولذلك فإنَّ تعليم اللغة من منطلق أنها معارف لا يكون كافيا ما لم نخلق وسطا لغويا تمارَس فيه اللُّغة المراد تعليمها ، وإن كنّا نفتقد لهذا الوسط في الحياة الاجتماعية لكوننا نمارس العامية فإننا بحاجة إلى التأكيد على خلق هذا الوسط في الحقل التربوي التعليمي ابتداء من مرحلة التحضيري وإلى أبعد مرحلة في التعليم والتكوين ، وقد أثمرت بعض التجارب التي سعت إلى تحقيق هذا المبدأ في كثير من البلدان العربية (المراد بذلك تجربة الدكتور عبد الله مصطفى الدنان حيث قام بتدريب المعلمات في دور الحضانة في الكويت وسوريا إلى حد أصبحن متمكنات من استخدام اللغة العربية الفصحى طوال اليوم المدرسي ، واستطاع الأطفال في هذه الروضات من استخدام اللغة العربية الفصحى وتوظيفها بسلامة في مدة ستة أشهر) .

ولهذا علينا أن نصحِّح التصُّور من كون أن مسؤلية التعليم بصفة عامة ، وتعليم اللُّغة بصفة خاصة تقع على عاتق المدرسة

فقط ، إنها تقع على أكثر من عاتق فالمجامع اللغوية ، ووسائل الإعلام بمختلف أشكالها وأنواعها ، ودور الثقافة ،والمساجد كمؤسسات تربوية ، والإدارات العمومية كل هؤلاء لهم دور في تعليم اللغة والارتقاء بها لدى المتعلم حيث " يجب أن يجد الناشئ اللغة الفصيحة في كل مكان وأن يطمئن إلى أنّها مما يحتاج إليه في كل ميدان ، وليست شيئا محتجزا في زاوية معينة على شخص معين " (أصول تدريس اللغة العربية ، دار الرائد العربي:15)

5- لقد أصبح تعليم اللغة يعتمد على ما يسمى بالتمهير ، فالاتجاهات الحديثة رأت أن التحفيظ والتسميع وحدهما لا يكفيان " وتعليم اللغة على أنها حقائق علمية لا يكفي لتكوين المهارة ، إذ أن المعرفة مرحلة تسبق اكتساب المهارة " (اللسانيات وتعليم اللغة : 161) ثم تأتي مرحلة التدريب المستمر إلى أن تتحول هذه المعارف بفعل الممارسة إلى قدرة لغوية وكفاءة تواصلية ، وهذه حقيقة مغيبة في مدارسنا فلا زلنا ننتظر أن تدريسنا اللغة بالتعريف بأحكامها وقواعدها هو الطريقة المثلى في اكتسابها ، ولازالت دروس النحو عندنا قواعد تحفظ ، ومتن اللغة مفردات تحصى ، وحصص البلاغة مصطلحات مضبوطة ، وحدود معروفة ، وشواهد مألوفة .

إن إدراكنا لأهمية هذه المبادئ في اكتساب اللغة - خاصة أن تعليمها أصبح يعتمد ما يسمى التمهير أي تدريس اللغة على أنها مهارات يجب التمكن منها ، ووضوح غاياتنا ومراميا من وراء تعليميتها – يستوجب منا أن نجدد تصورنا لتعليمية اللغة ونتساءل : ما الطريق المجدي إلى تعليمية فاعلة للغة العربية تجعل منها وسيلة تواصل فعلية في مواقف الحياة المختلفة ، بل تصبح وسيلة للإبداع بشقيه الأدبي ، والعلمي .

ثانيا : مبادئ هامة في تعليمية المهارات اللغوية

وجب أن ندرك أولا العلاقة بين مفهومي التعليمية و المهارة ، فالتعليمية أو الديداكتيك didactique " يهتم بطريقة تدريس مادة من المواد بعينها كدداكتيك مادة اللغة العربية ،

وديداكتيك مادة الاجتماعيات (اللسانيات وتدريس اللغة العربية : 65) ، أما المـــــــــهارة فهي " الأداء المتقن القائم على الفهم والاقتصاد في الوقت والجهد المبذول "(اللسانيات وتعليم اللغة : 161).

وبالجمع بين مفهومي المهارة وتعليميتها يتبدى لنا أن تعليمية المهارة اللغوية تعني تذليل الصعوبات التي تعترض عملية الاكتساب المتقن لهذه المهارات ، ومعنى ذلك تمكين المتعلم من اللغة بحيث يكون قادرا على التواصل بها وتوظيفها في مختلف المواقف .

وتحدد التربية الحديثة ّ المهارات اللغوية في أربع مهارات المحادثة والاستماع والقراءة والكتابة ، والتي تتوزع على محوري التواصل إرسال واستقبالا ، إذ تمثل المحادثة والكتابة محورالإرسال للمعاني ، على حين تمثل القراءة والاستماع محور الاستقبال ،إلا أن هذا الفصل منهجي تعليمي إذ يجب أن ننظر إلى اللغة كلا متكاملا ، ونعلِّم المتعلمين وندرِّبهم على مختلف المهارات لأن اكتساب أي مهارة من المهارات اللغوية والتدرُّب عليها يسهم في التمكن من مهارة أخرى . فكيف يمكننا أن نصل إلى هذا الأداء المتقن ؟ أو بطريقة أخرى كيف يمكننا أن نكتسب المهارة ، والمهارة اللغوية على وجه الخصوص ؟

يساعد على اكتساب المهارة عوامل كثيرة نذكر منها :

1-الممارسة والتكرار :

تعتبر الممارسة من الدعائم الأساسية لاكتساب المهارة ، فإذا كان الطالب يتعلَّم قاعدة نحوية معينة فإنَّه لا يكفي أن يحفظها ويعيدها ، ويكررها تكرارا آليا ، بل لا بد من ممارستها في مواقف الحياة بصورة طبيعية ، وقد أشار ابن خلدون إلى أهمية الممارسة والتكرار إذ يرى " أنَّ اللغات كلَّها ملكات شبيهة بالصِّفات ، إذ هي ملكات اللِّسان للعبارة عن المعاني وجودتها وتصوُّرها بحسب إتمام الملكة أونقصانها ... فإذا حصلت الملكة

التَّامة في تركيب الألفاظ المفردة للتعبير بها عن المعاني المقصودة ، ومراعاة التآليف التي يطبق الكلام على مقتضى الحال ، بلغ المتكلم حينئذ الغاية بتكرارالأفعال ، لأن الفعل يقع أولا وتعود منه للذات صفة ، ثم تتكرر فتكون حالا ومعنى الحال أنها صفة غير راسخة ، ثم يزيد التكرار فتكون ملكة ، أي صفة راسخة " (مقدمة العلامة ابن خلدون ، 1991 م : 344)

وشرط الممارسة أن تتم بصورة طبيعية عفوية ، عوضا عن التكرار الآلي ، مع ترك الحرية للمتعلم للبحث والتنقيب ، فقد أكد بستالوزي وهو أحد التربويين الذين أرسوا اتِّجاه الممارسة اللغوية على ضرورة ترك الحرية للطفل في الممارسة اللغوية من خلال السمع والنظر والتَّكلم ليتعلم بنفسه ما لا يستطيع الآخرون تعليمه إياه (اللسانيات وتعليم اللغة : 162).

ولهذا وجب علينا أن نتيح الفرصة للمتعلم لكي يتعلم بنفسه " فلكي نعلم تلميذا ما الكتابة لا نجبره على الإصغاء لدرس في الكتابة بل نضع بين أصابعه قلما ، وندعوه لممارسة الكتابة ، ولذلك فإن التعليم يكون ناجعا إذا ما اعتمد على التدريب فإذا غاب هذا العنصر غاب التعليم بمفهومه الحقيقي ، ولعل ذلك ما يشهد به الواقع التعليمي في مختلف المراحل ، وقد أثبتته البحوث التربوية المختلفة ، فالمناهج والبرامج التعليمية والمعلمون يحققون النجاح في التعليم إذا ما عوّلوا على هذا العنصر، وكلما غاب التدريب أصبح التعليم تلقينا وحشوا للأذهان بالمعارف وهذا ما لم تعد النظريات التربوية تعتد به في حقل التعليم .

2-الفهم والإدراك :

لا تكفي الممارسة اللغوية ، والتكرارالآلي لأي نشاط لغوي من اكتساب المهارة اللغوية ولذلك" لا بد أن تكون الممارسة التي يقوم بها المتعلم مبنية على الفهم وإدراك العلاقات وتعُّرف النتائج لأن الممارسة من غير الفهم تجعل المهارة آلية لا تعين صاحبها على مواجهة المواقف الجديدة ، وحسن التَّصرف "

(اللسانيات وتعليم اللغة : 162) ، فلو اكتفينا مثلا في تعليم مهارات السياقة بفعل الممارسة لقيادة السيارة ما كان ذلك كافيا دون الفهم لطبيعة كل فعل أو حركة يقوم بها القائد ، فلو أننا لا نضيف لذلك المتعلم عنصر الفهم لما يقوم به وهو يطبق قانون المرور لارتكب كثيرا من الأخطاء ولم يقدر على التجاوب مع المواقف الجديدة .

ومن خلال هذا يتبين لنا أن " ترسيخ القواعد اللغوية في ذهن المتعلمين لا معنى له إذا كانت إمكانية التوظيف قليلة أو مستحيلة في الواقع الحياتي للمتعلم ، علاوة على أن ترسيخ القواعد دون ترسيخ الفكر الابستمولوجي في أذهان المتعلمين ، ولا سيما ونحن في عصر مجتمع المعرفة ، وعصر الرقمنة فلابد من فكر ابستمولوجي يجعل المتعلمين ينتقدون المعارف ، ويبررون انتقادهم هذا بشكل منطقي من خلال سلوكاتهم ، ومواقفهم ، ومهاراتهم اللغوية وغيرها ...لإيماننا أنه لا يمكن تدريس اللغة العربية من منظور لساني بدون ترسيخ الفكر الابستمولوجي النقدي بجانبه من أجل صناعة متعلم ناقد ، محاور ، فاعل ونشيط " (اللسانيات وتدريس اللغة العربية : 87 -88) ، ولعلنا بهذا التصوُّرنستطيع أن ننمي في المتعلم القدرة على ممارسة النشاط اللغوي بما تقتضيه قوانين اللغة من جهة ، ونفتح المجال أمامه ليصنع من هذه اللغة العامة لغة خاصة به ، فنحرر بذلك ملكاته وقدراته لتنطلق نحو الإبداع والتجديد ليس في اللغة فقط بل في الفكر الذي تحمله .

3- التوجيه والتسديد :

يعتبر التوجيه الذي يمارسه المعلِّم تجاه المتعلم من الوسائل الهامة في اكتساب المهارة اللغوية ، فتعريف المتعلمين بأخطائهم وعثراتهم اللغوية من جهة ، وتسديد ممارساتهم اللغوية ، وتعزيز مواطن القوة في أدائهم اللُّغوي من شأنه أن يعين على اكتساب المهارة ، ومن هنا يبرز دور المعلم إذ " كل شيء يبقى جامدا إذا لم يتهيأ له المعلم الحيّ ، وإذا كان هذا مما يصدق على كل مادة ، فإنه لكذلك وأكثر من ذلك في مادة اللغة ،

وإذا كانت الحاجة إليه قائمة في كل لغة ، فإنها لكذلك وأشد في مادة اللغة العربية " (أصول تدريس اللغة العربية : 16) ، ولذلك وجب علينا أن نعرف كيف ننتقي المعلم ، وكيف نكونه وندربه ونعرفه بقيمة المسؤولية التي ستلقى على عاتقه ليصبح كفءا قادرا على أداء هذه الرسالة ، وتحمل هذه الأمانة التي ضيعناها نحن بتغافلنا عن هذه الحقائق عامدين أو غير عامدين ، نتعامل مع التعليم كأي وظيفة أخرى ، ومع المعلم كأي موظف ، وإذا أضفنا إلى ذلك ضعف البرامج التكوينية ، وعدم تركيزها على مهارات التدريس استطعنا أن نعرف حجم التقصير الذي مارسناه في حقِّ لغتنا ، فكيف ونحن نسعى إلى الرقي بناشئتنا إلى مصاف المبدعين بلغتهم في شتى الفنون والعلوم .

4- القدوة الحسنة :

لعل من أهم ما يساعد على اكتساب المهارة اللغوية والتمكن منها " أن يشاهد المتعلمون من يتقنون المهارات من زملائهم أو من مدرسيهم أو بطريق التسجيلات والمخابر اللغوية ، لأن للقدوة الحسنة أثرا كبيرا في المحاكاة والتقليد وامتصاص الصحة والسلامة " (اللسانيات وتعليم اللغة : 163) ، ويشكل المدرس أهم قدوة يتم التعويل عليها " وأقل ما يعني هذا جدُّه فيما هو فيه ووصل أعماله بأقواله ، أي أنه يلتزم الفصيحة في كلامه في كل درس ، فمن أكبر العيوب أن يقدم مدرس اللغة العربيةَ الفصيحةَ بلغة غير فصيحة ، إنك يجب أن تلتزم الفصيحة إذ تدرس النحو وإذ تدرس الأدب وإذ تدرس المطالعة ... وإذ تتكلم في أي موضوع من الموضوعات ، فإذا رأى ذلك منك طلابك أعجبوا بك (بعد استغراب قصير) واتخذوك قدوة وسهل عليهم بدء الطريق " (صول تدريس اللغة العربية : 23) ، وليست هذه المسؤولية منوطة بمدرس اللغة العربية بل هي مسؤولية كل معلم يقدم تعليمه بهذه اللغة ، إنها مسؤولية أستاذ الاجتماعيات ، والعلوم الإسلامية ، كما هي مسؤولية أستاذ الرياضيات ، والعلوم الطبيعية فمن كل هؤلاء يتعلم المتعلم اللغة

ويمارس مهاراتها ويكتسب أبجديات استعمالاتها الأدبية والعلمية .

5- التشجيع والتعزيز :

يعتبر التشجيع عاملا هاما في أية عملية تعليمية ، فهو يحفز المتعلِّم ويدفعه إلى مزيد من العمل للتقدم في تعلُّمه ، وهو بالنسبة لتعلم المهارات اللُّغوية عامل مكمل لبقية المبادئ إذ يرى كثير من الباحثين أنه يجب أن نضع المتعلم في محيط يبعث على التحفيز والتشجيع لأنه يسهم في نجاعة ونجاح العملية التعليمية إجمالا، ويعمل على التسريع في تعلم المهارات اللغوية ، و على تجاوز المعوقات التي تعترض اكتسابها " فالتشجيع والنجاح يؤديان إلى تعزيز التعلم وإلى تقدم ملموس في اكتساب المهارة ، وإذا ما تكرر الأداء وأضحى مهارة تمكن المتعلم من أن يقوم بكل سهولة ويسر وعفوية ، وعندها تتحول المهارة إلى عادة "(اللسانيات وتعليم اللغة : 163).

لقد دعت النظرية التربوية الحديثة إلى استثمار كل المواقف لتجعل منها فرصة للتعلم ،فإذا ما أصاب المتعلم في ممارسته التعلُّمية كوفئ وشُجِع ليتمَّ تعزيز السلوك الممارس لديه ، وإذا ما أخطأ استغلت الفرصة للكشف عن مصدر الخطأ من أجل تفاديه ، وعدم الوقوع فيه ثانية وبالتالي فإن الخطأ لم يعد مثلما كان عليه الحال في التربية التقليدية انحرافا يستجلب العقاب ، بل هو فعل تعلّمي كغيره من الأفعال يستوجب منا أن نتعامل معه وفق بيداغوجيا الخطأ .

6-الوسائل التعليمية :

أضحت الوسيلة التعليمية في التربية الحديثة ركنا ركينا في العملية التعليمية التعلمية ، لأنها تسهم في تحقيق الأهداف والغايات المرصودة من وراء كل عملية تعليمية وذلك لأنَّها تعمل على اختصار الوقت في اكتساب المهارات المختلفة ، وفي أقل وقت ممكن، ومن أهم الوسائل التعليمية المساعدة على تعليمية المهارات اللغوية الكتب المقررة ، والكتب الإضافية

المكملة لها ، والمصادر والمراجع والموسوعات ، والمجلات والصحف ، المواد المبرمجة (التعلم الذاتي) ،وبرامج التلفزيون ،و برامج الإذاعة ، والتسجيلات الصوتية ، واللوحات المصورة ، الرسوم والأشكال ، والأفلام التي تلتزم الفصحى لغة تواصلية .

وقد أتاح التطور العلمي والتكنولوجي وسائل تعليمية متجددة بل جامعة لكثير من الوسائل المذكورة آنفا ونقصد بذلك أجهزة الإعلام الآلي وما يتبعها من البرامج التعليمية الهادفة إذ بإمكانها أن تختصر كثيرا من الجهد ، وتربح كثيرا من الوقت ، وتسهم بفعالية في تمكين المتعلم من اكتساب المهارة اللغوية ففيها نجد المراجع المختلفة ، والمخابر اللغوية ، والبرمجيات التعليمية المساعدة .

لكن الملاحظ في واقعنا التعليمي أن هذه الوسائل التعليمية وخاصة المتجددة منها تكاد تغيب في قاعات الدرس ، والأسباب في ذلك كثيرة لعل أهمها إلى جانب عدم توفرها بالمدارس هو عدم اقتناع المعلمين بجدواها في تسريع عملية التعلم ، إضافة إلى عدم استعدادهم لتقبل ما يتطلبه العمل بمثل هذه الوسائل من جهد إضافي يسبق عملية التعلم من اقتناء الوسيلة والتحضير للعمل بها مما يشكل عبءا على المعلم ، فكيف يمكننا أن نكتسب اللغة ومهاراتها ونحن لازلنا نعتمد الوسائل التعليمية التقليدية التي لم تعد تلفت انتباه المتعلم ، وكيف يمكن للمتعلم أن يصل إلى مرحلة اكتساب لغة التخصص ونحن نحرمه من كثير من هذه المستجدات التعليمية الفعَّالة .

7- طرائق التدريس

ما زال العديد من مدرسي اللغة العربية في واقعنا التعليمي يعتمدون على الطرق التقليدية ، إذ لا يزال الإلقاء هو المهيمن في تقديم الدروس ، وتلك طريقة تجعل من المتعلم سلبيا يستقبل ويستهلك دون أن يشارك في الفعل التعليمي ، ولهذا أصبح لزاما تكوين المعلمين وتدريبهم على ممارسة التعليم بطرائق تعليمية أكثر فعالية ونجاعة ، وأصبح على المعلم أن يعمد في تكوينه

الذاتي إلى أن يسلح نفسه بمستجدات علوم التربية ، وعلوم اللغة المختلفة ، ومبادئ التعليمية الحديثة .

لقد أصبحت تعليمية اللغات ومهاراتها المختلفة تتطلب " مدرسا متسلحا بزاد معرفي نظري وإجرائي ، يمتح مفاهيمه من حقول معرفية متنوعة منها ديدكتيكا اللغات ، والبيداغوجيا واللسانيات التطبيقية والحاسوبية ، وغيرها من العلوم الإنسانية الحديثة كعلم النفس المعرفي وعلم الاجتماع التربوي " (اللسانيات وتدريس اللغة العربية: 62) .

فأين تكوين المعلمين والأساتذة لدينا من كل هذا في منظوماتنا التكوينية ؟ وأين جهد المعلم والأستاذ في تكوينه الذاتي من هذا كله ؟ فكيف يكون السعي إلى منظومة تعليمية ناجعة وناجحة ونحن نفتقر إلى أنجع الطرائق وأفيدها للمعلم والمتعلّم ونركن إلى طرق تقليدية عفا عنها الدهر ، وأكل عليها الزمان وشرب .

8- التعلم الذاتي :

المراد بالتعلم الذاتي تمكين المتعلم من الاعتماد على نفسه بصورة دائمة ومستمرة في اكتساب المعارف والمهارات ، وقد أتاحت التكنولوجيات الحديثة سبلا ووسائل جديدة للتعلم ، وفي ميدان تعلُّم المهارات اللغوية أصبح المختبر اللغوي ، والحقيبة التعليمية ، والتعلم بالحاسوب من أهم الوسائل لتعليمية المهارات اللغوية .

ولذلك أصبح لزاما على منظوماتنا التعليمية أن تفعل وتعزِّز هذا الجانب من التعليم ، لأنّ جهد المتعلم في اكتساب المهارات اللغوية ركن ركين ، وعلى هذا وجب إتاحة الفرصة ما أمكن للمتعلمين لاستثمار مكتسباتهم ودعمها من خلال البرامج التعليمية التدريبية التي تعد خصيصا لهذا الشأن ويمكن الاستفادة منها دونما حاجة إلى المتعلم .

ثالثا: أسس تفعيل الممارسة البيداغوجية في تعليمية المهارات اللغوية

ودعما لما سبق ذكره فإنه يمكننا أن ننبه في الأخير إلى بعض الشروط التي من شأنها تفعيل المبادئ السالفة الذكر ، وهذه الشروط لا تتعلق بركن من أركان العملية التعليمية بل هي ترتبط بها جميعا على أنها كل يجب أن تتكامل فيه الأدوار حتى تؤتي تعليمية المهارات اللغوية ثمارها وتسهم بالتالي في تشكيل لغة التخصص ، ومن بين هذه الشروط نذكر:

1- ضرورة إدراك الأهداف المتوخاة من العملية التعليمية التعلمية ، ولذلك علينا أن نعرف في مجال تعليمية اللغة لماذا نتعلّم اللغة ؟ وماهي المهارات المطلوبة لتعلمها ، كما يجب أيضا أن تكون المتابعة مستمرة لتوجيه وتعديل مسار استيعاب هذه المهارات وإتقانها .

2-التأكيد على أن التعليم والتعلم لم يعد تلقينا للمعارف ولا استهلاكا لها ، وإنما أصبح تدريبا على مهارات للوصول إلى كفاءات تضمن نجاعة التكوين وفعاليته ووظيفيته في واقع الحياة ، ولذلك وجب التركيز في تعليمية اللغة على جانب الأداء ككفاءة ختامية.

3-الحاجة إلى معرفة دور كل من المعلم والمتعلم معا ، فالمعلم موجه ومرشد ومسير للتعليم ، والمتعلم مشارك في التعلم الفردي والجماعي بفعالية ، وبالتالي يجب التركيز على ما يتعلمه المتعلم لا على ما نعلمه له ، مع إنهاء نمط التعلم المبني على الحفظ فقط وهكذا لا يصبح تعلم اللغة حفظا لقواعدها وقوانينها ، ولا معرفة لخصائصها فقط .

4-ضرورة التنويع في أساليب وطرائق التعليم والتعلم إجابة عن سؤال أساسي وهو كيف نعلم ونتعلم ؟ ولذلك فهذه الأساليب والطرائق مهمة جدا في الوصول إلى مهارات اللغة فمن التعلم الفردي إلى الجماعي أو التعاوني إلى التعلم بالقصة أو المناقشة والحوار ، ومن النص المسموع إلى المكتوب.

5-التركيز على الأداء الفعلي للمهارات الأساسية والتدريب المستمر عليها في تقديم الدروس ، أو الواجبات الموجهة ، أو التقويمات المختلفة ، أو الأعمال المطلوب إنجازها ، ومراعاة ذلك وأخذه بعين الاعتبار في العملية التقويمية .

6- الاستمرارية والتكامل في عملية بناء المهارات وإتقانها ، ولذلك يجب أن تكون كل النشاطات ، وجميع المواد خادمة للتدريب على المهارات الأساسية وبأشكال مختلفة ومتعددة .

7-إدراك أهمية توفير البيئة التعليمية المناسبة ، واستخدام كل الوسائل الممكنة والمتوفرة ، وتوظيفها لزيادة إتقان المهارات اللغوية والتدرب عليها .

إنّ التفكير في أن تصبح اللغة العربية الفصحى لغة تخصص في تصوّرنا لا بد أن يسبقه تفكير جاد وعميق في درس اللغة العربية وتدريسها ،و اكتساب هذه اللغة ومهاراتها المختلفة في مراحل التعليم كلِّها ، بحيث تصبح هذه اللغة على لسان متعلمها طيِّعة ، وفي قلمه سليمة صحيحة في مختلف المواقف ، فإذا ما أجبنا عن هذه الإشكالية فإنه بإمكاننا أن نفكر في الطريقة المثلى التي نحوِّل فيها هذه اللغة من حالة تواصل عادي إلى حالة تواصل متخصص تكون فيه اللغة إبداعية بحسب مؤهلات صاحبها الأدبية أو العلمية .

المراجع :

1. اللسانيات وتعليم اللغة- محمود أحمد السيد - دار المعارف للكباعة والنشر ، سوسة ، تونس.
2. دراسات في اللسانيات التطبيقية ، حقل تعليمية اللغات - أحمد حساني –ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، ط 2 ، 2009.
3. الكافي في أساليب تدريس اللغة العربية - محسن علي عطية – دار الشروق للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، ط 1 ، 2006 .

4. مجلة الدراسات اللغوية ، اللسانيات وتدريس اللغة العربية تدريس اللغة العربية من منظور لساني وظيفي حديث- عبد الوهاب صديقي - ، العدد 2 ، السنة الثانية ، ديسمبر 2011 .

5. اللسانيات والديداكتيك نموذج النحو الوظيفي من المعرفة العلمية إلى المعرفية المدرسية- د . علي آيت أوشان –دار الثقافة ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط1، 2005 .

6. المجلة الجزائرية للتربية ، التعليمية ، موضوعها ، مفاهيمها ، الآفاق التي تفتحها- إبراهيم حمروش – ، العدد 2 ، السنة الأولى ، 1995 : 64 .

7. أصول تدريس اللغة العربية - علي جواد الطاهر - ، دار الرائد العربي ، بيروت ، لبنان ، 1404هـ ، 1984م.

8. اللسانيات وتدريس اللغة العربية - عبد الوهاب صديقي.

9. أصول تدريس اللغة العربية - علي جواد الطاهر -: 12

10. مديرية التعليم الثانوي – وثيقة تخفيف مناهج التعليم الثانوي ، مواد التعليم العام ، جوان 2008 .

11. أصول تدريس اللغة العربية - علي جواد الطاهر - دار الرائد العربي.

12. مقدمة العلامة ابن خلدون -ابن خلدون ، تحقيق حجر عاصي ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، 1991 م : 344